14 أكتوبر 14 OCTOBER يومية - سياسية - عامة www.14october.com

السبت -15 ديسمبر 2012م -العدد 15637

www.14october.com

في يمنية الجنوب.. وتحقيق الوحدة بدون مبادئ

برغم الإرهاب الفكري الذي يمارسه بعض الجنوبيين ضد كل من يرفض مطلب فصل الجنوب عن الجمهورية اليمنية فيأخذون في شتمهم بجانب تمرسهم في شتم الوحدة اليمنية وشتم أبناء الشمال بأسوأ الألفاظ وكل ذلك يمارس من قبل «مناضلي الكيبورد»، فإنه مما لا شك فيه أن تحقيق الوحدة اليمنية كان منجزاً عظيماً وهو من أهداف النضال الجنوبي الشريف منذ خمسينات القرن الفائت، وكثير من «مناضلي الكيبورد» الذين تراودهم أحلام اليقظة بالانفصال واستعادة دولة الجنوب ويعجزون عن تحقيق ما يحلمون به منذ 18 عاماً حتى رغم تشكل ما يعرف بالحراك الجنوبي منذ نحو 5 سنوات، ينكفئون على أجهزة الحاسوب لتفريغ غيظهم وعقدهم وأحقادهم وتطلعاتهم المريضة ليس فقط بشتم الوحدة وأبناء الشمال ولكن أيضاً بشتم قحطان الشعبي بحجة أنه «يمنن الجنوب».

ومؤخراً نلت قدراً من بذاءاتهم لأنني كتبت في مقال ما يلي (أنا مع تحويل الجنوب إلى ولاية فدرالية ضمن الجمهورية اليمنية فلست مع وحدة ثبت فشلها لكنني لست مع الانفصال فقد نشأت نشأة وطنية وقومية في أسرة رجالها لديهم مبادئ أخلاقية وسياسية سامية لهذا أؤمن بوحدة الشعب اليمني ووحدة الشعب العربي وأن الجنوب جزء من اليمن واليمن جزء من الوطن العربي) ولكن نلت قدراً أكبر من الاستحسان على قولي ذلك حتى أن صديقا وافاني برسالة الكترونية تضم تعليقاً بموقع «صدى عدن» على مقالي الذي نشر بها وحسب قوله أنه أروع تعليق على مقالي، التعليق باسم ناصر الجليدي ونصه (لو اكتفينا من كل كتاباتك الكثيرة ونشاطاتك المتعددة بالفقرة التي تقول فيها «أنا لست مع الانفصال فقد نشأت نشأة وطنية وقومية في أسرة رجالها لديهم مبادئ أخلاقية وسياسية سامية لهذا أؤمن بوحدة الشعب اليمني ووحدة الشعب العربي وأن الجنوب جزء من اليمن واليمن جزء من الوطن العربي» لدخلتَ التاريخ وبقيت ضمن المخلدين الأحرار إلى الأبد. شكراً لنجيب النجيب ، ابن رئيسنا العظيم وقائد استقلال جنوب وطننا قحطان الشعبي، والعار على من يسعى إلى تمزيق وطننا ، بسبب افتقادهم للروح الوطنية والقيم السياسية النبيلة) ولن أحلف بأنني لا أعرف الذي كتب هذا التعليق فقد كتبت مؤخراً في "عدن أون لاين" أنه بناء على طلب كثير من القراء آخرهم الابنة العزيزة الشابة (هـ.م) المقيمة مع أسرتها الكريمة ببريطانيا التي ناشدتني أن لا أحلف في مقالاتي لأنها وجميع صديقاتها يثقن في صحة كل ما أكتبه، فإنني لن أحلف ثانية والذي لا يريد أن يصدق شيئاً كتبته فمع ألف سلامة ولا يعود لقراءة مقالاتي. وأشكر من كتب ذلك التعليق وقد أشاد بي أكثر مما أستحق.

نجيب قحطان الشعبي

الجنوب.. يمني أم تيمني؟

والصحيح أن الشعبي إنما كافح لينفض الغبار الذي طمس الهوية اليمنية للجنوب فالجنوب جزء من اليمن، وقد أكد أن جنوب اليمن المحتل يشكل مع شمال اليمن المستقل إقليم اليمن، وكنت أتجاذب أطراف الحديث هاتفياً في رمضان الفائت مع الأخ أحمد الحبيشي رئيس تحرير «14 أكتوبر» فقال «وعبدالله باذيب يمنن الجنوب مع قحطان الشعبي فهما أول من أكد يمنية الجنوب وذلك تقريباً في عام 1956» وأظن أن هذا صحيح فباذيب معروف بإيمانه بالوحدة اليمنية.

إن يمنية الجنوب حقيقة تاريخية ولا ينكرها إلا جاهل بالتاريخ أو انفصالي خائب يتوهم أن إنكار يمنية الجنوب هو الطريق الموصل للانفصال! وأكثر من يرددون أن قحطان يمنن الجنوب هم من حضرموت وشبوة (ومعهم صغار الجنوبيين الذين يناضلون بشراسة من خلال الكيبورد فيما يسمى بمنتديات الضالع بوابة الجنوب وهم يعتبرون من حثالات الجنوبيين وللأمانة ينافسهم مناضلو كيبورد «منتديات كور العوالق» الذين ضحكت كثيراً على خيبتهم عندما أفادني أحد المقربين وأنا أكتب هذا المقال بأن إدارة «فيسبوك» طردت منتديات كور العوالق من فيسبوك للبذاءة والسوقية التي يتصف بها هذا المنتدى الذي سبق أن كتبت منذ أسابيع عن انحطاط رئيس مجلس إدارته وبعض اعضائه، تهانينا بإغلاق حسابكم في فيسبوك، وعلى العكس منهم يوجد «منتديات العوالق للموروث الشعبي» وهذا موقع محترم ويقدم صورة مشرقة لأبناء العوالق الكرام، وهناك مواقع عولقية أخرى جيدة، كما علمت مؤخراً أن المتسمى بـ «بكري» المشرف على القسم السياسي بمنتديات الضالع قد طرد من الإشراف على القسم بعدما كتبت عنه مرتين (بأنه وعضو يدعى مهدي الكازمي يقومان بتزييف تاريخ الجنوب وشتم أبناء الشمال بألفاظ بذيئة) وحول ما يقوله بعض انفصاليي حضرموت وشبوة بأن قحطان نكبهم لأنه يمنن الجنوب، علق صديق عزيز ساخراً «يمكن هم زعلانين لأن قحطان خلاهم يمنيين وليس ألمانا أو أمريكيين» وصديق عزيز آخر علق ساخراً «هم تاريخياً يمنيين من قبل أن يخلق قحطان فاسألهم: وأيش كنتم قبل أن يمنن قحطان الجنوب؟ هل كنتم فرنسيين أو ألمان؟» أما أنا فأرد عليهم بأنه يجب أن تشكروا قحطان فقد أبرز يمنيتكم فجعل لكم قيمة بين الشعوب وكنتم من قبل مجهولين.

قادة عدن هم سبب: انتكاسة الوحدة، والحرب، وقضية الجنوب

بعض مناضلي الكيبورد من مزوري التاريخ يكررون أنه بعد تعيين قحطان الشعبي مستشارا للرئيس الشمالي عبدالله السلال أرغم على القول بأن الجنوب يمني! إذا ما رأيكم أن كتابه «الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن» صدر في 21مايو1962 أي قبل تعيينه مستشاراً بسنة بل قبل أن يصير السلال رئيساً بل قبل 26 سبتمبر1962 بأربعة شهور وكان الحاكم حينئذ الإمام أحمد وفي طول الكتاب وعرضه يؤكد الشعبي على يمنية الجنوب .. الرجل كان لديه مبادئ سامية وأهداف عظيمة تحرريه ووحدويه يمنياً وعربياً وليس مثلكم متجردين من أي مبادئ أو أهداف عظيمة ومتجردين حتى من الأخلاق. ولكنه لم يقبل بتحقيق الوحدة بتلك الطريقة التي تمت بها ففي خطاب جماهيري بعدن في 1969م رفض سياسة الضم والإلغاء التي تتبناها صنعاء تجاه دولة الاستقلال الفتية في الجنوب وأعلن 10 نقاط كأساس لتحقيق الوحدة اليمنية وقال «لو وافق الإخوان في الشمال على هذه النقاط فنحن مستعدون لتحقيق الوحدة اليوم قبل الغد» فأسقط في يد القاضي عبدالرحمن الإرياني رئيس المجلس الجمهوري والفريق حسن العمري رئيس الوزراء وأعلنت صنعاء بأن النقاط تعجيزية! مع أن قيادة صنعاء لم تحاول حتى مناقشة النقاط مع عدن (ليس هنا مجال سردها، ولكن منها أن قانون الإصلاح الزراعي الذي صدر وطبق في الجنوب يجب أن يطبق في الشمال للقضاء على الإقطاع وشبه الإقطاع، والعمل على إسترداد الأراضي اليمنية التي في حيازة الغير، والعمل بمبادئ وأهداف ثورة 14 أكتوبر) وقال الرئيس الشعبي «ليس بالضرورة أن يكون رئيس الجمهورية منا أو أن يكون رئيس الحكومة منا ولكن يجب أن يكون هناك مبادئ نسير عليها».. وللأسف فأنه بعد 20 سنة من تلك الشروط قام البيض وقيادة الحزب الاشتراكي بتحقيق الوحدة بطريقة «ساذجة» فهي على العكس تماماً مما أشترطه الشعبي فقالوا بأنه بالضرورة أن يكون في الفترة الإنتقالية نائب رئيس مجلس الرئاسة منا وأن يكون رئيس الحكومة منا وأن يكون رئيس مجلس النواب منا وأن تكون نصف مقاعد الحكومة لنا! وأما من كان معارضاً منهم لاتفاقية الوحدة فقد تراجع أمام الوعد بتعيينه في الحكومة! وغير ذلك من ترتيب «الأوضاع الشخصية» للقادة في عدن أما «المبادئ» فلم يكن لها أي أهمية لديهم وهذا هو سبب انتكاس الوحدة اليمنية وبالتالي حرب 1994م ومن ثم ظهور القضية الجنوبية فالسبب في ظهورها هم قادة الجنوب لأنهم دخلوا إلى الوحدة متجردين من «المبادئ».

للجماعة.. لا لله ولا للوطن!!

يقيني أن النظام المصري الراهن، الذي يقوم على رأسه الدكتور محمد مرسي، يقع جوهريا في الخطأ الاستراتيجي القاتل ذاته، الذي وقعت فيه الأنظمة السابقة، التي تداعت قواعدها وحوائطها وأسقفها بفعل زلزال الغضب الشعبي. ويقيني أنه إذا ظلت العوامل على حالها والتفاعلات وفق طبيعتها والشقوق بعمقها، فإننا نسير وبغض النظر عن التوقيت أو المسافة إلى لحظة الانفجار الكبير ذاتها، وإن كانت تلك اللحظة في هذه المرة سيكون إيقاعها الدرامي أكثر حدة، ومضاعفاتها أكثر قسوة، ومنتوجها صداماً وانفصاما وأنقاضا ودما، أكثر اتساعا وسخونة.

ذلك أننا أمام قوتين متصادمتين واقعيا، الأولى قوة شعبية ازدادت دوائرها اتساعا يتخللها إحساس طاغ واقعي وعميق، بأن ثمرة الثورة التي غذتها صبرا وجلدا وقهرا ودما، قد قطفتها كاملة بالغدر والخديعة يد قوة أخرى، وأن ما تبقى لديها هو حصاد الهشيم، مجرد أحلام مجهضة وآمال مستلبة ومستقبل لا يشي بغير الاستبعاد والتهميش والاحتكار، فضلا عن أن آفاقه لاتزال مسدودة بمكعبات جديدة مضافة من التمييز والفقر والعوز والجوع. والثانية، قوة مغلقة زين لها حضورها المنظم ومالها المتدفق وصعود أحد رموزها إلى سدة الحكم، وإحساسها الطاغي بالقدرة والغلبة، وجسورها المفتوحة توافقاً مع مصالح قوى الإمبريالية الدولية المسيطرة، أنها صاحبة الاستحقاق في فرصة تاريخية متفردة، غير قابلة للتكرار بأن تفرض سلطتها القاهرة دون منازع، وسلطانها الجائر دون مشارك، وقانونها الأعلى دون معقّب، وأن تحصن بجميع الوسائل مشروعة وغير مشروعة ديمومة السلطة، وأبدية السلطان، ووحدانية القانون.

والمشكلة في ذلك أننا أمام ضفتين متباعدتين، تريد كل منهما استحقاقها الذي تراه كاملا غير منقوص، وإذا كانت القوة الأولى بجماهيرها الشعبية الواسعة غير المنظمة، قد اتسعت دوائرها المشتعلة غضبا في أنحاء مصر كلها، فإنها لا تملك إلا حضورها السلمي في الميادين، وحناجرها التي تخوض سباقاً مبرراً لتعلية سقف الشعارات والمطالب، وهو بدوره ما يشكل دالة على عمق الغضب تحت صخور الإحساس بالامتهان والاستلاب والخديعة، أما القوة الثانية المتحصنة في قصر الرئاسة ودوائره، فتبدو في توجهها العام أقرب إلى نصف بيت من معلقة امرئ القيس 'كجلمود صخر حطه السيل من عل'. وواقع الأمر بذلك أن القوة الثانية التي تملك إمكانية إظهار المرونة وتغليب قواعد التوافق سادرة في غيها، لا تريد إلا أن تثقل موازينها دون أن تتنازل عن شرو نقير، فهي تريد أن تأكل وحدها رغيف السلطة دون تفريط في كسرة منه أو حبة قمح، وهي تريد أن تحتكر مائدة السلطان وحدها دون أن ترمي للأفواه المفتوحة من حولها، حتى ما قد يعد من بقايا المائدة وفضلات أطباقها.

أحمد عز الدين

وواقع الأمر بذلك، بل واقع الخطر الهائل المحدق بنا في الحقيقة، أن السلطة القائمة، هي التي تفرض قاعدة المواجهة وقانونها، وأنها تحولها بإصرار بالغ، وضيق أفق نادر، وحسابات ذاتية مرتبكة وغير سليمة، إلى نمط غير مسبوق في جميع الصراعات، التي اكتنفت التاريخ الوطني، والتي جرت بين حاكم وشعب، أو بين شعب وجماعة حاكمة، إلى ما يسمى في العلوم الاستراتيجية بالمعركة أو المباراة الصفرية، أي إما غالب وقاهر ومسيطر، وإما مهزوم ومقهور ومستلب، بمعنى أدق إما حاكم فرد وشعب خانع، أو حاكم مخلوع وشعب قادر، وتلك هي المعضلة حقاً، التي تجعل وجه المستقبل الوطني في مرايا المستقبل القريب، مساحات متداخلة من الكسور والشقوق والجروح والدماء.

□□□□□

إذا كان الله عز وجل وعلا، يقول في كتابه الحكيم: « لا إكراه في الدين » فهل يمكن أن يرضى الله بإكراه في الحكم؟ وما حدث من أوله إلى آخره لا يخرج عن كونه إكراها حقيقيا في الحكم، رغم تعدد وسائله وأساليبه، بل هو إصرار متسلط غير مسبوق على أن يكون الحكم بكل مستوياته وأدواته، إكراها خالصا. لقد تحدثت في البداية عن تكرار الخطأ الاستراتيجي القاتل، الذي وقعت فيه كافة الأنظمة السابقة، فتداعت أسقفها وحوائطها وقواعدها، تحت زلزال الغضب الجارف، دون أن أشير إلى هذا الخطأ بذاته، وهو بالتحديد: تخفيض التناقضات مع الخارج غير الوطني على حساب تصعيد التناقضات في الداخل الوطني، وهو عندي العلة الأساسية التي خرجت منها كل العلل وكل الأعراض وكل الأمراض، وهو بنيان جهنم الذي تولد داخله وقود الغضب واشتعل، وشكل طريقه مندفعا إلى كل انفجار كبير. ودون تفصيل جارح فقد كان منطق الحكم في كافة تلك الأنظمة، لا يخرج عن معادلة واحدة هي التكيف مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما، وأنه يمثل الضمانة الأساسية للبقاء فوق مقاعد السلطة، وأن استرضاء الولايات المتحدة وحلفائها، هو الذي يحصن السلطات من السقوط، ويمهد لها أسباب الصمود والبقاء، في مواجهة شعوب ظل ينظر إليها على أنها جبلت على الخضوع وعلى القبول بما يفرضه الأمر الواقع. فقد انتزعت روح الثورة من صدورها وصودرت أسلحة التمرد من قلوبها، إضافة إلى حضور ترسانة من القوة تستطيع في اللحظة الحاسمة، أن تفرض الاستكانة والخضوع، والحقيقة أن ثورة 25 يناير كان واحدا من أهم دروسها ناطقا بدحض هذين البعدين المندمجين في عقيدة السلطات الحاكمة، فالغرب ليس الله الذي يدافع عن الذين آمنوا، وأدوات الضبط الاجتماعي لا تعمل في وسط غير متجانس معها، أي أنها تفقد فاعليتها مع ترنح النظام المعنوي للسلطة –أي سلطة– أي انخفاض درجة القبول الشعبي بها، لكن أكثر الذين مروا بمثل هذا الدرس مروا خفافاً وكراما، فلم يعلق منه في أذهانهم شيء يفرض على خطاهم قليلا من التمهل وبعضا من الحكمة وجانبا من الذكرى التي تنفع المؤمنين.

□□□□□

يجلس الدكتور محمد مرسي على مقعده أمام كاميرات التليفزيون، ليجيب عن الأسئلة المرتبة ضاحك الثغر، منبسط الملامح، رقيق الحاشية، هادئ النبرة، ثم ليعيد بناء المشهد الذي تجري به الأسباب في ميادين مصر، والذي يختلط فيه الغضب بالرفض بالاحتراب ببقع من الدم، ولكنه يعيد بناءه على نحو فريد، فهو يراه ويريدنا أن نراه بالتالي ليس مشهدا مقبضا، أو مؤذنا بانقسام أشد وعنف أكبر، بل أن نراه على غراره مشهدا يبعث على السعادة الغامرة، فهو صحي وإيجابي رغم وجود خيط من الحزن بسبب اندساس بعض الفلول –حسب تعبيره– وبالتالي فإن صحة المشهد وإيجابيته ليست أكثر من دليل على صحة الحكم وإيجابيته، بل الأهم على قوته وثقته حد التهوين واللامبالاة، خاصة إذا كان يعتقد كما أكد لمجلة تايم أن 90 ٪ من الشعب مؤيدون له ولإعلانه غير الدستوري. والحقيقة أنني فتشت عن أسباب للسعادة المفرطة بالمشهد، محاولا أن أجد لها سندا من الواقع، وقلت لنفسي غير مصدق: ربما كان فقدان البورصة خلال أسبوع واحد من هذا الحكم الرشيد لما يساوي 33.7 مليار جنيه، وفقدانها خلال شهر واحد ما يساوي 54.3 مليار جنيه، واحداً من أسباب هذه السعادة الغامرة، وربما كان فقدان المجتمع أهم مقومات دفاعه عن وجوده واستقلاله وهو تشبثه بصخرة وحدته الوطنية، هو واحد من أسباب هذه السعادة، وربما كانت هذه الصدامات التي جرت وتجري في ميادين المحافظات المختلفة، والتي تنتج دما قد يجف وكراهية وثأرا قد لا يبرد، واحداً من أسباب هذه السعادة. ولكن الحقيقة أن هناك مفارقات دالة في حديث الدكتور مرسي، تشي بمسافة بعيدة تصل حد التناقض بين الظاهر والباطن. فبعيدا حتى عن أن الإعلان الدستوري الذي وصفته كل قمم القضاء العالية في بلادنا، بأنه هدم للقضاء واستلاب لسلطته وعدوان عليه، والتي جاءت محصلة الحديث تأكيداً على التمسك به، وعدم التفريط فيه، فقد أفاض الدكتور مرسي عن رعايته للعدل، واحترامه للقانون، وهذا هو ظاهر القول، أما باطنه فقد بدا في كلمات معدودة، وصفت حدود دور القضاء كسلطة بأن يقوم بالحكم بما يوضع في يديه من قوانين، أي أيا تكن تلك القوانين عادلة أو جائرة، متوازنة أو منحازة، جيدة أو سيئة. فالسلطة القضائية وفق هذا المفهوم هي مجرد آلة، على غرار تلك الآلات التي تنتصب في مداخل بعض الأماكن العامة، والتي تضع في إحدى فتحاتها عملة معدنية معينة، فتخرج لك من الناحية الأخرى حسب قيمة العملة صنفاً من المرطبات الجاهزة. أي أن وظيفة السلطة القضائية أن تنتظر هي كي تضع القانون، أي قانون، في فتحة أذنها كي تقوم هي بإخراج الأحكام المطلوبة من فمها، وهكذا فإن الحديث لا يطول سلطة وإنما يطول آلة معدنية لا موقف لها ولا رؤية ولا تقدير، وهو المطلوب في الباطن وفي العمق.

والحقيقة أيضا، أن كل الوقائع والخطابات والأحاديث، وبغض النظر عن هذه النبرة الأبوية المتفضلة، التي تكتنف مفرداتها وتشي بعداء غريزي لسلطة القضاء والقانون، وباستعلاء واضح لا يبدو مبرراً على جموع الشعب التي تشتعل غضبا ورفضا، وإذا كان هذا العداء لسلطة القضاء الذي عبر عن نفسه جليا فيما يسمي بالإعلان الدستوري يمكن تفسيره بالسعي لتحقيق الهدف الاستراتيجي لجماعة الإخوان المسلمين، وهو إحلال الجماعة محل الدولة، والاستحواذ الكامل غير المنقوص عليها، فما هو تفسير هذا الاستعلاء على الشعب، من سلطة لا تملك أن تدفع منظومة القوة في الدولة لقمعه وكسر إرادته باستخدام العنف الغاشم؟ ولا بديل إذا عن البحث عن تفسير آخر قد ينتهي إلي وجود قوة أخرى على الأرض غير قوة الدولة، أو إلى وجود دعم بالقوة قد لا يكون داخل حدود الدولة، وهو تفسير قد يجد سندا موضوعيا له في ذلك التصريح الذي قاله أحد أعضاء الحكومة الحالية، واستورده أو استعاره من لسان أحد المسئولين السابقين قبل الثورة، وكان منطوقه 'إما مرسي وإما الفوضى'، والواضح أنها ليست الاستعارة الوحيدة من خطاب النظام السابق، فهناك أكثر من استعارة أخرى، على شاكلة وضع كلمة الاستقرار بديلا لكلمة الاستمرار، وعلي غرار اللجوء للقياس العددي والكمي في كل شيء، حتى في إنتاج هذا الدستور الفاسد بعدد ساعات مناقشاته، لا بالمعيار الكيفي لتمثيل الجمعية التي أنتجته للشعب، أو بالدعوة إلى حساب موازين القوى بين المؤيدين والمعارضين. بأعداد المسيرات والأشخاص والحشود، لكن الأمر في كل الأحوال لا يخرج عن ألعاب قاصرة من خداع النظر، ومن تكنولوجيا صناعة الوهم، مع ذلك فإن أكثر ما أثقل قلبي في هذه المسافة الممتدة في حديث الدكتور محمد مرسي بين الظاهر والباطن، وبين الحقيقة والإيهام، هو محاولة إجابته عن سؤال معلق حول نتائج التحقيقات في مقتل هؤلاء الشهداء الستة عشر من العسكريين المصريين الذين أردتهم يد الغدر والإرهاب في سيناء، حين برر عدم إعلان النتائج وتقديم الجناة للعدالة، بأن يد العدالة لم تطلهم، لأنها لا تريد أن تسعى إلى كشف الحقيقة من خلال أعمال أو قرارات استثنائية، وإنما من خلال التمسك بما يفرضه القانون، فأي قسمة عادلة تلك التي تفرض التمسك بالقانون، ورفض الأعمال الاستثنائية في مواجهة مجموعات إرهابية لا أريد أن أقول أكثر من ذلك بشأنها، بعد أن قامت بسفك دماء الجنود المصريين غدراً وغيلة، بينما تفرض الضرب بالقانون والدستور عرض الحائط واللجوء إلى حيل استثنائية في مواجهة شعب صابر محتسب، يبحث عن بقايا ثورته بين الأنقاض وسلطة قضائية تعض بالنواجذ على حقوق هذا الشعب؟!

□□□□□

لماذا يبدو المشهد مرتبكًا ومتداخلا إلى هذا الحد؟ والإجابة الصحيحة أنك عندما لا تجد الوضوح كاملا والأبعاد جلية، فإن عليك أن تبحث في عمق ما يراد له أن يبدو على السطح، وما يبدو على السطح حسب كلمات الدكتور مرسي هو إعلان دستوري، يحقق رغبات وطلبات المرحلة الانتقالية، وهو لذلك كما يقول يمثل مرحلة استثنائية قصيرة جداً، سوف تنتهي كليا بمجرد الاستفتاء على الدستور وموافقة الشعب عليه، وهذه المرحلة القصيرة جدا كما يقول بعض دعاته، قد تمثل ديكتاتورية باستحواذه على كل السلطات ولكنها ديكتاتورية مؤقتة، والحقيقة عندي – أولا – أنها بالفعل ديكتاتورية مؤقتة، ولكنها ليست سوى جسر مفتوح يمهد لديكتاتورية دائمة، وإذا كانت هذه الديكتاتورية المؤقتة تحصن نفسها من الدولة كلها بإعلان استثنائي منعدم في توصيفه الفقهي الصحيح، فإن غايتها هي الوصول إلى ديكتاتورية دائمة تقوم على دستور جديد يحصن استمرارها بأن يتحول في يدها إلى سيف تقطع به جميع أعناق منافسيها قبل خصومها. إن لدينا لعبة واضحة لخداع النظر والإيهام، أقبلوا هذه الديكتاتورية المؤقتة قليلا من الوقت، كي ننتقل بكم إلى جنة الديمقراطية، وإذا لم تقبلوا فاقرعوا رؤوسكم في الحوائط حتى تدمي وذلك لوقت قصير جدا بعدها يمكنكم أن تجففوا غضبكم ودمكم في أشجار الديمقراطية، وذلك حتى نحبط مساعي خصوم الثورة وأعداء الاستقرار.

والحقيقة عندي –ثانيا– أن القبول المذعن بذلك لن ينتهي بأحد إلى جنة الديمقراطية، وإنما إلى نار الديكتاتورية التي وقودها الناس والحجارة، وتستطيع أن تتأكد من ذلك بقراءة معاني ودلالات تلك الهرولة غير الرشيدة وغير الرصينة، التي تم بها إقرار بنود الدستور النيئ بالصعود على سلالم بنوده عدواً بالليل، وبأنفاس متقطعة حتى الفجر، وهو دستور لا يخرج عن كونه سيفاً يقطع عنق القضاء، ويردم على حقوق العمال والفلاحين، ويربط المرأة إلى أوتاد خيمة غابرة، ويحول الثقافة والإعلام إلى دُمى في أيدي بعض الحواة والمغامرين، وهو فوق ذلك يرمي مصالح الطبقة المتوسطة والطبقات الدنيا تحت حوافر رأس المال الغشوم، بل هو يأخذ مصر كلها كأنها سفينة جانحة، استولى عليها القراصنة بليل فاستلبوا عقلها ومالها وأمنها ومستقبلها.

هذه ليست معركة حول الإسلام ولا حول الدين، ليست بين إسلاميين ومدنيين، وليست معركة حول تطبيق الشريعة قبولا أو رفضا، فذلك التصوير هو إخراج زائف بالمعركة عن طبيعتها وعن مجراها، هذه معركة في الثورة ومن أجل الثورة، من أجل حلم العدل، ودولة القانون والمساواة، ونفي التمييز، ولذلك فهي على الجانب الآخر ليست معركة من أجل الله، ولا من أجل الوطن، ولكنها بكل صورها وأدواتها وأساليبها معركة للجماعة ومن أجل الجماعة.

الأقليات تُحترم!

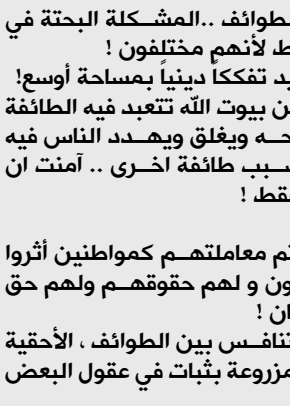

عماد العطاس
emad.alattas@facebook.com

عبر التاريخ ..
لم تسقط ممالك لضعفها المادي أو السياسي فقط .. لا !
سقطت ممالك فقط لأن أهلها عمدوا إلى هدم أعمدتها!
كيف ، لماذا ؟
تبدأ الحكاية هنا ولهذه القضية من الداخل ، من المجتمع ذاته!
بالعادة تكون تكوينات المجتمع مختلفة من عدة نواح أهمها العادات واللهجة وغيره الكثير الكثير لكن ،عندما يصبح الإختلاف ، إختلافا في الجانب الديني ، فأبشر بسقوط ذلك المجتمع ليس بسبب الإختلاف نفسه ، لا ! فهو سنة كونية لن تتغير ، بل بسبب تلك العقول المريضة المتعطشة للكراهية والحقد .
في تلك المدينة الحبيبة (عدن) ، تعيش طوائف دينية مختلفة منها الطائفة السنية و الصوفية والشيعية والوهابية ..
حقاً جميل أن تضم عدن شعباً يعيش بطمأنينة و تآخ وتفاهم رغم إختلاف الأصول والفروع !
لكن ، هل حقاً تعيش تلك الطوائف بتآخي ؟!
لا ، هنا في مدينتنا الحبيبة (عدن) تعيش الأقليات من الطوائف في خوف ، رعب ، و إنطوائية قد لا تتصور حجمها!
قد لا يعرف البعض من الأساس أن هناك (شيعة ، صوفية) في مجتمعي ..
لا مشكلة أبداً في وجود الطوائف ..المشكلة البحتة في المضايقات التي يلقونها فقط لأنهم مختلفون !
والسبب : عقول مريضة تريد تفككاً دينياً بمساحة أوسع!
المسجد الحسيني ، بيت من بيوت الله تتعبد فيه الطائفة الشيعية .. يغلق ويعاد فتحه ويغلق ويهدد الناس فيه وتعيش الطائفة برعب ! بسبب طائفة اخرى .. آمنت ان الدين هو مايلائم تفكيرها فقط !
سحقاً !
مايغضب أكثر ، أنهم لا يتم معاملتهم كمواطنين أثروا ويؤثرون ويتأثرون ويقودون و لهم حقوقهم ولهم حق الحماية والعيش بكرامة وأمان !
أفكار الكراهية ، الحقد ، التنافس بين الطوائف ، الأحقية بالوجود .. كل تلك كانت مزروعة بثبات في عقول البعض وكل ذلك موجود ويرى !
على الرغم من أننا نقف على أرضية واحدة هي (الإسلام)!
وعندما نأتي لمشائخنا ، أئمة المساجد العظام ، يا من تنصحون وتخطبون جمعة بجمعة !
أين دعوتكم للتوحد الديني !
أم حب البروز والتفوق وإثبات الرأي الصحيح ، غلب عليكم!
فئتان شيعية وسنية .. تقفان على أرض واحدة .. وتحملان نفس الكتاب .. ولهم تاريخ متوحد .. ومع ذلك ..
كل منهما يحلل دماء الآخر .
تبدأ المهزلة هنا ، بتحليل الدماء !
لا ويقال أيضاً : أن اليهود الصهاينة خير معاشرةٍ من تلك الطائفة !
لا أجد ماقد يصف تلك الكلمات .. إلا أنه للأسف ومن أبناء عدن من يؤمن بذلك حتى أني سمعتها بأذني لمرات عدة.
الغريب في الأمر .. أن بعض الطوائف المتشددة لو أن مسيحيين يتعبدون بكنائس لن يعيروهم بالاً .. وحين يصبح الأمر عند الشيعة او الصوفية .. تبدأ المضايقات والتحديات الساذجة .
ما السبب !؟
أحقاد تزرع ، وتنمو بسرعة ، وتنمو وتنمو وتظل نامية .. إلى موعد النضج وحينها تنضج الثمرة الخبيثة ، عفنها يهدم أعمدة مملكة كانت شامخة !
إن لم نتحد ، ونركز في وضعنا كمواطنين ، وكأخوة مسلمين .. (لا تقدم) !
ما أردت قوله وسأظل أقوله هو :
(أظهروا طوائفكم حتى لو كنتم قلة وعيشوا كمواطنين كرماء، فالأقليات تحترم دائماً) !
والإسلام إيمان و أخلاق قبل أن يكون فقها.